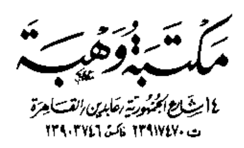
الإصلاح بالإسلام
(٥)

الدكتور
محمد عمارة
المفكر الإسلامي

الفاروق عمر
بين الدعوة والتنصير



الفارق بين الدعوة والتنصير
الدكتور محمد عمارة
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٧٢ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الايداع : ٢٠١١/١٢٥٩٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-225-326-7



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

عمارة ، محمد
الفارق بين الدعوة والتنصير /
محمد عمارة .-
القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١١
٧٢ صفحة ؛ ١٤ سم .-
(الإصلاح بالإسلام ؛ ٥)

تدمك ٧ ٣٢٦ ٢٢٥ ٩٧٧
١ - الديانات المقارنة .
٢ - الاسلام - دعوة .
أ - العنوان .

٢٩١

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٠٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

لا يقف التنصير والمُنَصِّرون عند حدود العمل على تحويل عدد من المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية إلى النصرانية . . وإنما يتجاوز الأمر هذه الحدود إلى كثير من الأبعاد والميادين . .

فالتنصير ـ فى حقيقته ـ إنما يعتمد على « **الإكراه** » أكثر مما يعتمد على « **حرية الاعتقاد** » . . وذلك عندما يعمل المُنَصِّرون فى ركاب الغزاة الغربيين لبلاد الإسلام مستظلين بحمايات قوات الاحتلال وشركات الاستغلال . . فيصنع الغزو الكوارث التى تخلُّ بتوازنات الضحايا ، ليأتى المُنَصِّرون فيقدمون المساعدات باسم « يسوع » ، وليحولوا ضحايا الغزو عن دينهم ودين آبائهم ، لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء! . .

حَدَث ذلك مع ضحايا حرب البوسنة والهرسك [١٩٩٢ - ١٩٩٥م] . . وهو يحدث الآن فى العراق وأفغانستان وكشمير والشيشان والصومال والسودان . . وبين اللاجئين المسلمين ـ الذين يكوِّنون معظم اللاجئين على النطاق العالمى!! . .

فالغزو يصنع المناخ البائس والضاغط والكريه . . ليأتى التنصير لالتقاط ضحايا البؤس والإكراه ! .

والتنصير الغربى يعمل ـ ليس فقط بالاعتماد المتبادل مع جيوش الغزو الاستعمارى ـ وإنما يعمل ـ أيضاً ـ بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية فى البلاد الإسلامية . . فيخرج هذه الكنائس عن «وطنيتها» ، ويقودها إلى خيانة حضارتها وأمتها وتاريخها . . ومن ثَمَّ يزرع بذور التوتر الدينىّ والفتن الطائفية التى تشيع «الفوضى الخلاقة» التى تجهض النهوض الحضارىَ فى مجتمعات الإسلام ! . .

والتنصير ـ الذى يدعو أصحابه إلى التدين بالنصرانية ـ هو الذى يقيم ـ ومعه الكنائس المحلية ـ حلفاً غير مقدّس مع الشرائح العلمانية فى المجتمعات الإسلامية ، تلك التى صَنَعَهَا الاستعمار على عَيْنه ، والتى تضخّم من حجم ودور الأقليات غير المسلمة فى بلادنا ، لتضخيم العقبات أمام المشروع الإسلامىّ ، واستكمال الأمة لمقومات هويتها الإسلامية! . .

بل إن التنصير والمنصرين ـ رغم رداء الدين الذى يلبسونه ـ يشجعون نَشْرَ الفلسفات المادية والإلحادية فى بلاد الإسلام ، باعتبارها عقبات فى سبيل سيادة الإسلام فى المجتمعات الإسلامية ، والذين يلاحظون الحجم الكبير لأبناء الأقليات غير

المسلمة فى التنظيمات التى تعتنق الفلسفات المادية والإلحادية ، ويلاحظون مباركة الكنائس ودوائر التنصير لهذه الظاهرة ، يدركون مغزى هذا الحلف غير المقدس بين نصرانية هؤلاء المنصرين وبين المذاهب المادية والفلسفات الإلحادية ، عندما يكون الهدف هو إعاقة سيادة الإسلام وحاكميته فى بلاد الإسلام! ..

كذلك يعتمد التنصير ـ كما قال المُنَصِّر الشهير « صموئيل زويمر » [١٨٦٧ - ١٩٥٢م] - على مذاهب الشك واللا أدرية ، لتشكيك المسلمين فى دينهم ، إذا لم تنجح حملات التنصير فى تحويلهم إلى النصرانية بدلاً من الإسلام ! . .

الكنائس الغربيّة والمشهد التنصيرى

وإذا كانت هذه الأساليب « المكيافيلية ـ اللاأخلاقية » ـ ومثلها كثير ـ هى الشاهد الصادق على إفلاس الكنائس النصرانية المشتغلة بعملية التنصير للمسلمين . . فإن فى دلائل هذا الإفلاس ووقائعه ما هو أغرب وأعجب من هذا بكثير .

إن هذه الكنائس الغربية والشرقية ، المشغولة والمحمومة بتنصير المسلمين ، قد تركت « بيتها النصرانى » خربًا ، ينعق فيه البوم والغربان ! . . وبدلاً من أن تعمره ، انطلقت لتنصير المسلمين . . وكأنها تريد أن تخرب بيوت الآخرين كما خرّبت بيتها النصرانىّ! لقد ظلّ الشرق لعدة قرون قلب العالم المسيحىّ ..

فلما غرقت كنائسه فى السفسطة اللاهوتية ، والاختلافات الحادة فى ذات المعبود ، وقوانين الإيمان ، وثوابت الاعتقاد . . وظهر الإسلام ، بتوحيده الفطرىّ والبسيط والعميق . . تحول الشرق فى سرعة مذهلة عن المسيحية ، ليصبح القلب النابض للإسلام .

ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أوربا - ولعدة قرون - هى قلب العالم المسيحىّ . . لكن كنائسها قد غرقت فى مستنقعات الحروب الدينية - بين البروتستانت والكاثوليك - تلك التى أُبيد فيها عشرة ملايين - أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا - ! . . وفى مستنقعات محاكم التفتيش ، التى دامت ثلاثة قرون ، ذهب ضحيتها الملايين حرقًا وغرقًا وعلى « الخازوق المقدس » الذى قتل بواسطته الأحرار والعلماء والفلاسفة والمفكرون ! . . وكذلك فى مستنقعات الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ، تلك التى دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] . . والتى كانت من بواكير الاستعمار الاستيطانى فى التاريخ المكتوب ! . .

فلما خرجت هذه الكنائس - أو أُخرجت - من هذه المستنقعات ، وجدت « التنوير الوضعىّ » و« العلمانية اللا دينية » و« الفلسفة المادية » قد سحبت البساط من تحت « لاهوتها الخرافى » الذى أغرقت فيه هذه الكنائس رعاياها وخِرافها طوال

تلك القرون ! . . أى وجدت « بيتها النصرانى » خَرِبًا تنعق فيه البوم والغربان ! . .

وإذا كان رفاعة الطهطاوىّ [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣م] ـ عندما عاش فى باريس [١٨٢٦ - ١٨٣١م] قد وَصَفَ إفلاس تلك الكنائس الغربية عندما تحدَّث عن علاقة الأوربيين بالنصرانية ، فقال :

« **إن أكثر أهل هذه المدنية ـ باريس ـ وبلاد الإفرنج ـ ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط ، حيث لا يتبعون دينهم ، ولا غيرة لهم عليه ، بل هم من الفرق المحسِّنة والمقبّحة بالعقل وحده ، أو من الإباحيين الذين يقولون : إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك ، فهم لا يصدقون بشىء مما فى كتب أهل الكتاب ، لخروجه عن الأمور الطبيعية . . ولهم فى الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية . . وحياتهم مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات** »[١] .

إذا كانت هذه هى شهادة الطهطاوىّ على « خراب البيت النصرانىّ الغربىّ » منذ ذلك التاريخ . . فإن وقائع العصر الحاضر تشهد على « عموم هذا الخراب » فنقول ـ وبالأرقام ـ :

---

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى] ١/ ٥٤٤ . دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م . وطبعة مكتبة الأسرة ـ القاهرة سنة ٢٠١٠م .

إن الذين يؤمنون ـ فى أوربا ـ بوجود إله فى هذا الكون ـ مجرد وجود إله ـ لا يتعدون ١٤٪ من الأوربيين ! . . والذين يذهبون إلى « القداس » ـ مرة فى الأسبوع ـ فى فرنسا ـ « بنت الكاثوليكية » . . وأكبر بلادها ـ أقل من ٥٪ من السكان ـ أى أقل من ثلاثة ملايين .. أى أقل من نصف عدد المسلمين الفرنسيين! .. و١٠٪ من الكنائس الإنجليزية معروضة للبيع ، لعدم وجود المصلين ! . . وفى جمهورية التشيك ، لا يذهب إلى « القدّاس » الأسبوعىّ إلا ٣٪ من السكان . . ولذلك ، فإن ٥٠٪ من الكنائس زائدة عن الحاجة ومعروضة للبيع ! . . وفى ألمانيا ، توقف « القُدَّاس » فى ١٠٠ كنيسة ـ من ٣٥٠ كنيسة ـ فى أبرشية « آيسن » وحدها . . الأمر الذى دفع السلطات إلى تحويل الكنائس إلى أغراض أخرى ! . . وكثير من الكنائس التاريخية ـ فى أوربا ـ قد تحولت إلى ملاهى ومطاعم ، يغنى فيها المغنون . . بعد أن تحولت « مذابحها » . . إلى أفران « للبيتزا »! . . وأغلبية الغربيين لا يلتزمون فى حياتهم ـ الخاصة والعامة ـ بمنظومة القيم النصرانية . والعلمانية ـ الدنيوية ـ التى حولت الإنسان إلى « شيء » يعيش لإشباع غرائزه وشهواته ، قد دمرت الأسرة ، فأدخلت الكثير من الشعوب الأوربية فى « نفق الانقراض الديموجرافى » حتى إن بلاداً مثل ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا تزيد فيها نسبة الوفيات عن نسبة المواليد . . وهى مهددة بالانقراض فى

نهاية هذا القرن ـ كما يقول بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر» على حين نجد المسلمين فى ألمانيا ـ وهم ٣٪ من السكان ـ بلغت نسبة مواليدهم ١٠٪ من المواليد فى العشر سنوات الأخيرة! . . [١] .

ولقد أدى هذا الإفلاس الكنسى ـ الذى أشرنا ـ مجرد إشارات ـ إلى طرف من نماذجه ومعالمه ـ إلى إفلاس كنسى أكبر وأفدح قاد هذه الكنائس الغربية إلى خيانة مسيحيتها ـ كما كان يقول شيخنا محمد الغزالى [١٣٣٥ - ١٤١٦هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦م] ـ عليه رحمة الله . . فغدت هذه الكنائس تتعايش مع الشذوذ الجنسى ! . . وتغض الطرف عن انتشاره ومهرجاناته ! . ومن هذه الكنائس من يزوج الشواذ زواجًا دينيًا فى محاريب الكنائس!.. بل ومنها من يقود قداديسها ويؤدّى الخدمة الدينية فيها ـ باسم يسوع المسيح ـ قساوسة شواذ ! .. وذلك فضلاً عن تستر كثير من هذه الكنائس على فضائح الشذوذ الجنسى فى الكنائس والأديرة ! ..

* * *

---

(١) انظر ـ فى هذه الحقائق ـ نيوزويك ـ الطبعة العربية ـ عدد ٢٠٠٧/٢/٢٧م ، و«واشنطون بوست» وصحيفة «الدستور» فى ٢٠٠٧/٩/٢٢م . و«البصائر» الجزائرية ـ عدد ٢٠٠٦/١٢/٤م . و«الشرق الأوسط» عدد ٢٠٠٦/٤/٢٦م . وانظر كتابنا : [الغرب والإسلام : تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات] طبعة مكتبة وهبة ـ القاهرة سنة ٢٠١١م .

وأمام هذه المستنقعات التى غرقت فيها كثرة من هذه الكنائس الغربية . . وأمام هذا الإفلاس . . رأينا ـ ونرى ـ قمة « العبثية ، واللا معقول» . . فبدلاً من أن تصلح هذه الكنائس من شأنها ، وترمم وتعمِّر بيوتها . . وتعمل على إعادة تنصير شعوبها . . رأيناها تعمل ـ فى دأب محموم ـ على تنصير المسلمين ، مستغلة الكوارث التى يصنعها الاستعمار ـ الذى باركته وتباركه ـ فى بلاد المسلمين! . . ورأيناها تساوم المهاجرين المسلمين إلى أوربا ـ فى معسكرات الاحتجاز ـ فتعرض النصرانية مقابل « الإقامة » و« جواز السفر » و« العمل » . . وإلا فالترحيل القسرىّ إلى البلاد التى هاجروا منها !

كما تعرض ذلك على ضحايا الفقر والفاقة والعوز والبطالة والزلازل والحروب الأهلية فى إفريقيا وآسيا ـ التى اعتصر الاستعمار الغربىّ خيراتها لخمسة قرون !! . .

هذه هى ميادين التنصير الغربىّ . . وتلك هى أولوياته . . التى جعلت منه القمة فى « العبثية ، واللامعقول» . . إذ بدلاً من أن ترتب هذه الكنائس بيوتها . . وتحدد أولوياتها . . وتبدأ بمن تعول . . وتعلن أن « الأقربين هم الأولى بنصرانيتها وخلاصها!» . . نراها تنفق الجهود والأموال والأعمار فى تنصير فقراء المسلمين!.

* * *

ولقد جرّت هذه الكنائس الغربية عدداً من الكنائس الشرقية إلى ذات المستنقع . . فاشتغلت هذه الكنائس الشرقية «بالتعصب الطائفىّ» بدلاً من إغناء الحياة الروحية لأبنائها! . . فأدت الطائفية إلى ضمور الحس الوطنى لدى قطاعات كبيرة من رعيتها ، فسعوا إلى الهجرة ـ التى تفرّغ مجتمعاتهم من الكفاءات! ـ . . وأدت هذه الطائفية إلى ضمور الحياة الروحية . . فسعى الكثير من أبناء هذه الكنائس إلى التحول للإسلام ـ الذى يشهد صحوة روحية وحضارية هى أعظم ظواهر العصر الذى نعيش فيه ـ . . ولم يغن هذه الكنائس عن الإفلاس ـ بل زاد منه ـ تحويلها الكنائس إلى قلاع ، بدلاً من البساطة التى تميزت بها عبر التاريخ ! . . وتحويلها الأديرة إلى قلاع ومؤسسات إنتاج إقطاعىّ ورأسمالىّ بدلاً من رسالتها التاريخية ـ كبوابة لمملكة السماء . . البعيدة عن هذا العالم! . .

ولقد أفضى هذا الطريق بهذه الكنائس إلى واقع تتحدث أرقامه عن دخولها برعيتها عصور الانقراض! . .

ويكفى أن نعلم أن فلسطين ـ بلد المسيح . . ومهد المسيحية ـ قد تناقص تعداد المسيحيين فيها من ٢٠٪ إلى ١,٨٪ . . وأن المسيحيين المقدسيين قد باع الكثيرون منهم أرضهم وبيوتهم للصهاينة ، وهاجروا إلى بلدان «الرفاهية المادية» . . حتى إن

عدد هؤلاء الذين يعيشون منهم فى استراليا الآن يزيد على عدد المرابطين منهم فى عاصمة المسيحية والمسيح! . . وكذلك الحال مع تعداد النصارى فى الكثير من البلاد العربية . .

وفى مصر ـ حيث أقدم كنائس الشرق . . وأكبر الأقليات المسيحية الشرقية . . توقع المفكر والكاتب والأستاذ القبطى ـ الأرثوذكسىّ ـ الدكتور كمال فريد إسحاق ـ أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية ـ فى دراسة له ـ « **انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام» مؤكّدًا أن نسبة المسيحيين المصريين تقلُّ تدريجيًّا ، وذلك لأسباب ثلاثة : أولها : الهجرة إلى الخارج . وثانيها : اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامى . وثالثها : أن مُعَدَّل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف ، على عكس المسلمين . وأن هؤلاء المسيحيين المصريين ـ لذلك ـ سينقرضون فى زمن أقصاه مائة عام**»[1].

أما الكاتب والباحث القبطىّ سامح فوزى . . فلقد كتب عن انقراض المسيحيين الشرقيين فى الأمد القريب . . يقول : « **إن تعداد المسيحيين فى المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة**

---

(١) صحيفة [المصرى اليوم] عدد ٢٠٠٧/٥/١٢م . . ولقد قدم الدكتور كمال فريد إسحق دراسته هذه فى الندوة الشهرية التى عقدتها مجلة « الكتيبة الطِيبة » ـ الأرثوذكسية ـ .

عشر وخمسة عشر مليونًا . . ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام ٢٠٢٠م ، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين ، وهكذا تصبح المنطقة العربية على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الدينيّ ، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان . . وتشير الدراسات إلى أن تعداد المسيحيين فى تركيا كان مليونى نسمة سنة ١٩٢٠م ، ولقد تناقص الآن إلى بضعة آلاف . . وفى سوريا كان تعداد المسيحيين فى بداية القرن العشرين ثلث السكان . . ولقد تناقص الآن إلى أقل من ١٠٪ . وفى لبنان كان المسيحيون يشكلون سنة ١٩٣٢م ما يقرب من ٥٥٪ من السكان . . ولقد أصبح عددهم الآن يدور حول ٣٠٪ . وفى العراق تناقص عدد المسيحيين من ٨٠٠,٠٠٠ ـ على عهد صدام حسين ـ إلى بضعة آلاف بعد الاحتلال الأمريكيّ . وفى القدس . . قال الأمير الحسن بن طلال : إنه يوجد فى سدنى ـ باستراليا ـ مسيحيون من القدس أكثر من المسيحيين الذين لا يزالون يعيشون فى القدس! . . »[1] .

---

(١) سامح فوزى ـ مقال بعنوان [ماذا لو رحل المسيحيون؟] ـ صحيفة وطنى] ـ القبطية ـ عدد ٢٠٠٧/٥/٢٧م .

ولقد نشرت «نيوزويك الأمريكية» عدد ٢٠٠٨/١/١٥ «أن الكثيرين من المسيحيين المصريين يرحلون عن مصر ، وهناك الآن ما بين ١٢ و١٥ مليون مسيحى عربى فى الشرق الأوسط ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط بحلول عام ٢٠٢٥م . وبدأت دول الشرق الأوسط تشهد تحوّلاً ملحوظًا من هذه الناحية : ففى عام ١٩٥٦م كان المسيحيون اللبنانيون يمثلون ٥٦٪ من مجموع سكان لبنان ، أما الآن فليس هناك أكثر من ٣٠٪ . وقد انخفض عدد المسيحيين فى العراق من ١,٤ مليون شخص عام ١٩٨٧م إلى ٦٠٠ ألف حاليًا . وكانت مدينة بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح مدينة ٨٠٪ من سكانها مسيحيون حين تأسست دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م . أما الآن فلا يمثل المسيحيون فيها أكثر من ١٦٪ .

وحسب « درو كريستيانسن» رئيس تحرير « مجلة أمريكا » فإنه فى ظل هذا الرحيل الجماعى للمسيحيين العرب يتم فقدان الممارسات والثقافات القديمة . والمسيحيون الشرق أوسطيون فى نهاية المطاف يخاطرون بالامتزاج فى بحر المسيحية الغربية ».

ومع كل هذا البلاء الذى أنزلته هذه الكنائس الشرقية برعيتها ، لا نرى من عقلائها من يدعو إلى مراجعة الحسابات . . وإعادة

ترتيب الأوليات . . والاشتغال بالحياة الروحية التى تجذب أبناء هذه الكنائس إلى أوطانهم . . بدلاً من الطائفية والانعزالية والتعصب والطموح السياسىّ . . والانصراف إلى جَمْعِ الأموال وتكديس الثروات ! . . وبدلاً من الانشغال بتنصير المسلمين!! ..

ذلك هو «المشهد التنصيرىّ».. الذى صنعته الكنائس الغربية .. ثم جرّت إليه عدداً من الكنائس الشرقية . . وهو مشهد عبثىّ . . يبلغ فى العبثية قمة اللامعقول . .

ومع ذلك كله ، يصدر الفاتيكان الإعلانات عن «حقه وواجبه فى التنصير» . . وتتحدث قيادات فى الكنائس الشرقية عن أن التنصير هو تكليف مقدس كلفهم به المسيح . . مع أن المسيح - عليه السلام - قد بُعث - حصرًا - إلى «خِراف بنى إسرائيل» . .

وليس بين هؤلاء المُنَصِّرين - فى الغرب أو الشرق - من لديه شجاعة التنصير فى بنى إسرائيل!! . .

فقط . . كلُّ هَمِّهم هو تنصير فقراء المسلمين ! . .

وإذا كان لله فى خلقه شئون . . فإن بعض هذه الشئون تصل إلى قمة الجنون ! . . ولا حول ولا قوة إلا بالله الواحد الأحد . الفرد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . سبحانه . . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

بين الدعوة والتنصير

تمهيد

كثيرٌ من الأوربيين والغربيين يسألون كثيرًا من المسلمين : لماذا تمنعون حرية التنصير فى بلادكم الإسلامية فى الوقت الذى تدعون فيه إلى الإسلام فى البلاد الغربية ، وتنشرون فيها دينكم ، الذى يُحْرِز انتصارات ملحوظة فى خارج عالم الإسلام؟! . .

وكثير من المسلمين يَحَارُون فى الجواب المنطقى ، والخالى من العصبية والتعصب ، على هذا السؤال .

والرأى عندى أننا لابدَّ وأن نُصَارِحَ هؤلاء السائلين بالفروق الجوهرية بين مكانة الإسلام فى الدول الإسلامية ، وموقف هذه الدول معه . .

وبين حال الدين فى المجتمعات العلمانية الغربية ، وموقف تلك الحكومات العلمانية من الدين ـ مطلق الدين ـ . . . والفارق **بين منهاج الدعوة إلى الإسلام ومناهج التنصير والمنصرين . .**

وهذه الفروق الجوهرية يمكن إجمال أهمها فيما يلى :

الفرق الأول

إنّ الإسلام يتميز بأنه دين ودولة ، ومن ثَمَّ فإن حكومات الدول الإسلامية لا يمكن أن تكون محايدة إزاء هذا الإسلام ؛ لأنه مقوِّم من مقوِّمات الاجتماع والسياسة والتشريع والنظام . . . ومن ثَمَّ فإن زعزعته هى زعزعة لمقوِّم من مقوِّمات المجتمع ونظامه . . وليس هكذا حال الدين فى المجتمعات العلمانية ، وخاصة فى ظلّ النصرانية التى تَدَعُ مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ ، وتقف عند خلاص الروح ومملكة السماء ؛ لأن إنجيلها ينصُّ على أن مملكة المسيح ـ عليه السلام ـ هى خارج هذا العالم . . وهى ـ لذلك ـ قد خلت من السياسة والقانون .

ولهذه الحقيقة ، ولهذا الفارق الجوهرى ، تحرص المجتمعات الإسلامية على النصّ فى دساتيرها على أن « الإسلام دين الدولة »، كما تجعل « منظومة القيم الدينية » هى « الآداب العامة » التى تحميها الدولة والقانون . . ومن ثَمَّ فإن هذه الدول الإسلامية تحافظ على دينها هذا ، فلا تفتح الأبواب أمام حرية زعزعته أو ازدرائه أو الخروج على ثوابته فى الاعتقاد والأخلاق والتشريع .

إن الإخلاص للإسلام الدين ، ومن ثَمَّ حمايته ، لا يَقِلان - في الدول الإسلامية - عن الإخلاص والحماية للوطن والولاء له . ومن ثَمَّ تحريم وتجريم الخيانة له أو الخروج عليه أو التفريط فيه . . وتلك خصيصة من خصائص المجتمعات الإسلامية ، تفرق بينها وبين المجتمعات العلمانية واللادينية ، التي تقف حكوماتها محايدة إزاء الدين - مطلق الدين - . . ولقد رأينا مجتمعات غير إسلامية اتخذت لنفسها عقيدة فلسفية - مثل الماركسية في البلاد الاشتراكية والشيوعية - فحافظت عليها كمقوِّم من مقوِّمات الاجتماع ونظام الحكم ، ومنعت - بالدساتير والقوانين - التبشير في مجتمعاتها بأية عقيدة مضادة لعقيدتها وفلسفتها .

فالدولة القائمُ نظامُها على عقيدة دينية أو مذهب فلسفي ، لها موقف متميز عن الدول التي تتخذ موقفًا محايدًا إزاء العقائد والديانات والفلسفات . .

الفرق الثانى

إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتعرض الآن إلى حرب ضروس معلنة من قِبَلِ مؤسسات الهيمنة السياسية الغربية ، والمؤسسات الدينية الغربية ، وكثير من مؤسسات الإعلام الغربية العملاقة .

ومع ضعف إمكانات « الحمايات الفكرية » فى البلاد الإسلامية المستضعفة ، كان منع حرية « التنصير الرسمى » هو بمثابة « حماية الصناعات الوطنية الضعيفة » فى حال انعدام تكافؤ الفرص والإمكانات عند اجتياح الأقوياء للضعفاء . .

إن « النشرة الدولية لبحوث الإرساليات النصرانية » قد رصدت ـ سنة ١٩٩١ ـ ما لدى إرساليات التنصير الأمريكية ـ وحدها ـ من إمكانات ، فإذا هى « جيش » فيه : ١٢٠,٠٠٠ (مائة وعشرون ألف مؤسسة تنصيرية) و ٩٩,٢٠٠ (تسعة وتسعون ألفاً ومائتا معهد لتأهيل المُنَصِّرين الرسميين وتدريبهم) .

٤,٢٠٨,٢٥٠ (أربعة ملايين ومائتان وثمانية آلاف ومائتان وخمسون مُنَصِّراً رسميًا محترفًا) .

٨٢,٠٠٠,٠٠٠ (اثنان وثمانون مليونًا من أجهزة الكومبيوتر).

٢٤,٩٠٠ (أربعة وعشرون ألفًا وتسعمائة مجلة) .

٢,٣٤٠ (ألفان وثلاثمائة وأربعون محطة للإذاعة والتلفاز) . .

ولقد أصدرت هذه المؤسسة التنصيرية ووزعت ـ فى عام واحد ـ :

٨٨,٦١٠ (ثمانية وثمانين ألفاً وستمائة وعشرة كتاب تنصيرى) . . وذلك غير نسخ «الكتاب المقدس» التى بلغ عدد ما وُزِّعَ منها ـ فى عام واحد ـ :

٥٣,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة وخمسون مليون نسخة) . .

وفى مدارس هذه الإرساليات التنصيرية يدرس :

٩,٠٠٠,٠٠٠ (تسعة ملايين طالب فى رياض الأطفال وحدها) . . يدرسون فى : ١٠,٦٧٧ (عشرة آلاف وستمائة وسبعة وسبعون مدرسة) .

ولقد خصّ إفريقيا وحدها من مؤسسات هذه الإرساليات التنصيرية : ١٤,٠٠٠ (أربعة عشر ألف مُنَصِّر محترف) . .

و ١٦,٠٠٠ (ستة عشر ألف معهد للتنصير) . .

و ٥٠٠ (خمسمائة مدرسة لاهوتية) . .

و ٦٠٠ (ستمائة مستشفى) . .

أما ميزانية هذا «الجيش التنصيرى» فإنها تبلغ :

١٦٣ ملياراً من الدولارات . . ودخل الكنائس العاملة فى هذا الحقل هو ٩,٣٢٠ ملياراً من الدولارات .

وهـذا «الجيش التنصيرى» الأمريكى يقوده «معــهد زويـمر» ـ الـذى أقـيم سنة ١٩٧٨م ـ ليمثـل «المـخ والجهـاز العصبى» للحملة الأمريكية لتنصير المسلمين ! . .

فهل هناك ذَرَّة من التوازن بين هذا الجيش ـ الذى يمثل الكنيسة الأمريكيـة وحـدها ـ وبـين الأفـراد المسـلمين الـذين يـدعون إلى الإسلام ؟! . .

وهــل يصــح أن تُسْـتَنْكر إجــراءات «الحمايــة» التــى تمنــع «التنصـير الرسمـى» فـى الـبلاد الإسـلامية المستضـعفة إزاء هـذا الاجتيـاح؟! ثـم . . إن الاجتيـاح التنصـيرى لا يخفـى أنـه يعمـل بالاعتمـاد المتبـادل مـع قـوى أخـرى عاتيـة . . ففـى «مـؤتمر كولورادو» ـ الذى عقدته الكنائس الأمريكية سنة ١٩٧٨م ، لرسـم الخطة الجديدة لتنصير المسلمين ـ أعلنوا أنهم إنما يعملـون علـى تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية . . وبنص توصيات هذا المؤتمر : «**يجـب أن يـتمَّ كسـبُ المسـلمينِ عـن طريــق مُنَصِّــرين مقبــولين داخــل مجتمعــاتهم . . ويُفَضَّــل النصارى العرب فى عملية التنصير**»! .

كما يعمل هذا الاجتياح التنصيرى بالاعتماد المتبادل مـع المـدّ الاستعمارى الغربى فى ديـار الإسـلام . . فـالجيوش التـى زحفـت على العراق ـ فى مارس سنة ٢٠٠٣ ـ قد دخـل فـى ركابهـا ٨٠٠ (ثمانمائـة مُنَصِّـر) مـن عتـاة قساوسـة الـيمين الـدينى الأمريكـى

معلنين ـ كما جاء فى «نيوزويك» الأمريكية ـ أنهم قد جاءوا لنشر المسيحية فى بغداد!! . .

وفى هذه البلاد التى ابتليت بالغزو الاستعمارى، يصنع الاحتلال الكوارث التى تخلّ بتوازن الضحايا . . ليأتى المُنَصِّرون فيقدِّمون «المعونات» لهؤلاء الضحايا فى مقابل تحولهم عن الإسلام! . . وبنصّ وثائق «مؤتمر كولورادو» :

«فإنه لكى يكون هناك تحوّل إلى النصرانية، فلابدَّ من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس خارج حالة التوازن التى اعتادوها ـ كالفقر والمرض والكوارث والحروب والتفرقة العنصرية والوضع الاجتماعى المتدنى ـ وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد جعلت حكوماتها أكثر تَقَبُّلاً للنصارى والمُنَصِّرين»!! .

فالاستعمار يصنع الكوارث فى البلاد الإسلامية . . والتنصير يستغلُّ هذه الكوارث ـ التى يعدُّها المُنَصِّرون «معجزة العصر»!.. كى يبيع الضحايا إسلامهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء ! . . وعلى أرض كثير من البلاد الإسلامية التى اجتاحتها الجيوش الاستعمارية ـ وفى معسكرات ومخيمات اللاجئين المسلمين، الذين يمثلون أغلبية اللاجئين على نطاق العالم ! ـ يتمُّ هذا المخطط للتنصير . . فى أفغانستان . . والعراق . . والسودان . . والصومال . . والشيشان . . وداغستان .. وآندونيسيا .. والفلبين . . إلخ . . إلخ . .

كذلك يعمل هذا الاجتياح التنصيرىّ بالاعتماد المتبادل مع ركائزه التى أقامها فى البلاد التى احتلتها جيوش بلاده الاستعمارية . . وكنموذج لذلك كوريا الجنوبية . . فلقد احتلتها الجيوش الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، وحولتها إلى قاعدة عسكرية أمريكية . .

ثم جاءت الكنيسة الأمريكية لِتُنَصِّرَ ربع سكان كوريا الجنوبية ، ولتجعل من « كنيسة صايمل » ـ التابعية لليمين الدينىّ الأمريكىّ ـ « قاعدة دينيَّة » تزامل القاعدة العسكرية ! . . وليعمل المُنَصِّرون الكوريون مع المنصرين الأمريكيين جنبًا إلى جنب ـ وبتمويل أمريكى ـ حتى لقد بلغ عدد المُنَصِّرين الكوريين الرقم التالى ـ على النطاق العالمى ـ لعدد المنصرين الأمريكيين ! . .

ولقد أرسلت هذه الكنيسة الكورية إلى البلاد الآسيوية وحدها ١٦,٠٠٠ مُنَصِّر ، كان نصيب البلاد الإسلامية منهم ٢٥٪ من هؤلاء المُنَصِّرين الكوريين! . . بل لقد امتدَّ نشاطهم إلى القارة الإفريقية . . وإلى مصر ـ بلد الأزهر الشريف ـ فنشرت صحيفة [الأهرام] ـ فى ١٠/٩/٢٠٠٧م ـ أن هؤلاء المُنَصِّرين يعملون ـ تحت لافتات أخرى ـ فى عشر محافظات مصرية !! . .

كذلك يعمل هذا الجيش التنصيرى العالمى ـ باعتراف وثائق مؤتمر كولورادو ـ بالاعتماد المتبادل مع « العمالة المدنية » الغربية المنتشرة فى مختلف بلاد الإسلام . . وهى العمالة التى

يفوق عددُها عددَ المُنَصِّرين الرسميين مائة ضعف!! . . فيدربها المُنَصِّرون الرسميون على التنصير فى معسكرات منظمة . . ويوجهونها إلى تنصير المسلمين ، وخاصة فى البلاد الإسلامية التى لا تفتح أبوابها للمنصرين الرسميين ! . .

فهل بعد هذه الإشارات ـ وهى مجرد إشارات ـ إلى حقائق الاجتياح التنصيرى ، يكون هناك وهم عن وجود تكافؤ فى موازين القوى بين « الدعوة إلى الإسلام» وبين « التنصير » حتى يكون هناك تساؤل :

لماذا يمنع المسلمون ـ فى بلادهم ـ حرية التنصير لقاء حريتهم فى الدعوة إلى الإسلام؟! . .

بل إن هذا المخطط التنصيرى يعترف بأنه ـ فى سبيل تنصير المسلمين ـ يلجأ إلى « الميكيافيلية » ، وتنحية القيم والأخلاق! . . فهم يعلنون عزمهم على :

اختراق القرآن . . بدلاً من مواجهته ! . . وصبّ المضامين النصرانية فى مصطلحاته وتأويلاته ! . . وكذلك العمل من خلال الثقافة الإسلامية ! . . وفى ذلك يقولون :

« من الممكن فى بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلق باستعمال المصطلحات القرآنية ، مع اهتمام خاص إلى الثقافات الإسلامية ، وتكييف اللغة لحروف خاصة ، واستعمال الألقاب التبجيلية والتعبيرات القرآنية . وذلك مثل استخدام «بولس الرسول» للإله الإغريقى المجهول» !! .

وكذلك إيقاع الأطفال ـ غير المميزين ـ فى حبائلهم . . وفى ذلك يقولون : « **وتسعى (رابطة تنصير الأطفال) و(إرسالية الخدمات الخاصة) لاستمالة الأطفال إلى جانب المسيح عن طريق تنظيم اجتماعات الأطفال وتجمعاتهم فى مدرسة يوم الأحد ، وتقديم الوسائل السمعية والبصرية لتشجيع الأطفال على تسليم أرواحهم للمسيح** »!

فبعد اصطياد الضحايا الذين أخلَّت الكوارث بتوازنهم . . يصطادون الأطفال قبل سنّ التمييز ! . . بل إن هذه المنظمات التنصيرية تمارس ـ تحت لافتات المنظمات الخيرية والإغاثية ـ عمليات خطف الأطفال لتنصيرهم . . حدث ذلك إبان حرب البوسنة والهرسك ـ ١٩٢٢ - ١٩٩٥م . . وأثناء كارثة « السونامى » الذى أصاب أندونيسيا المسلمة ـ سنة ٢٠٠٦م . . ومع أطفال دارفور السودانيين ، وأطفال تشاد . . ولقد تفجرت أحدث فضائح اختطاف جمعية « أرش دزويه » الفرنسية للأطفال المسلمين التشاديين فى نوفمبر سنة ٢٠٠٧م . وأحدثت أزمة مكتومة بين تشاد وفرنسا .

كما اشتكى من هذه « النخاسة التنصيرية » الرئيس السودانى عمر البشير يوم ١٤ نوفمبر سنة ٢٠٠٧م . . وأذاعت ذلك كله أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

كما يعترف هؤلاء المُنَصِّرون بأن «الإرساليات التنصيرية تعتبر أن نمو المادية والعلمانية قد يؤدى إلى تخفيف حدة العداء لتنصير المسلمين!» !! . . فيتوسلون إلى تنصير المسلمين حتى بالكفر والجحود والإنكار لمطلق الدين!! . .

ولقد رفضوا الالتزام «بالحرية والإقناع» فى عملية التنصير، ولم يستبعدوا «الجهود القسرية» فى تحويل المسلمين عن دينهم . . وعلّقوا على بيانات (مجلس الكنائس العالمى) التى تتحدث عن «الحوار والحرية والإقناع» فقالوا :

«إن المجلس لا يرى الحوار بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية . . بل ربما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير، وإن هذه البيانات الجديدة لا تعنى تخلى المجلس عن مواقفه المناصرة للجهود القسرية والواعية والمعتمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع دينى ما إلى آخر»[1] .

* * *

(١) انظر فى ذلك كله : وثائق مؤتمر كولورادو [التنصير الأمريكى خطة لغزو العالم الإسلامى] ـ الترجمة العربية ـ طبعة مالطا سنة ١٩٩١م، وطبعة مكتبة وهبة ـ القاهرة سنة ٢٠١١م . . وكذلك كتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة القاهرة ١٩٩٨م . ودكتور السيد ولد أباه ـ صحيفة [الشرق الأوسط] ـ لندن ـ فى ٢٠٠٧/١١/٢٣ م .

الفرق الثالث

في ظل وجود مؤسسات عملاقة ، ذات إمكانيات بشرية وتقنية ومادية هائلة ، متخصصة في ميدان التنصير للمسلمين ، فإن هذا التنصير قد خرج عن أن يكون مجرد دعوة إلى النصرانية ليصبح أداة من أدوات الغزو الفكرى والتغريب والمسخ الحضارى ، الذى يستعين على ذلك كله حتى بالاستعمار وجيوشه وحكوماته . .

ولقد رأينا ذلك وخبرناه وعانينا منه فى إفريقيا وآسيا ، عندما تمَّ تنصير قطاعات كبيرة من البلاد الإسلامية بواسطة الحماية الاستعمارية للمنصرين - حدث ذلك فى الفلبين . . وأندونيسيا . . والجزائر . .

ويحدث ذلك الآن على أرض أفغانستان والعراق والشيشان والسودان والصومال «لذلك» لم يكن التنصير - ولم يعد - مجرد دعوة إلى النصرانية ، لهداية ، إنسان إلى طريقها فى «الخلاص».. وإنما كان - ولا يزال - جزءًا من الحرب الاستعمارية الغربية على عالم الإسلام وأمته وحضارته . . فى الوقت الذى لم يكن فيه للإسلام - تاريخيًا . . وحتى الآن - مؤسسات تبشيرية . . وإنما اعتمد فى انتشاره على القدوة والأسوة والموعظة الفردية الحسنة . . وتمت أغلب انتصاراته وانتشاراته فى ظلٍّ الضعف والاستضعاف للحكومات التى حكمت بلاده ! . .

* * *

الفرق الرابع

إنَّ المسلمين الذين يدعون غيرهم إلى الإسلام ، لا يخلو هؤلاء المدعوون من أحد ثلاث حالات :

أ - أن يكون المدعوّ وثنيًا ، ليس على دين من الديانات السماوية الثلاث . . وفى هذه الحال تكون دعوة الوثنى - أو اللادينى - إلى الإسلام هى دعوة للإيمان بالديانات السماوية الثلاث - التى يتفرد الإسلام بالإيمان بها ، والاحتضان لأصولها ، والاحترام لكتبها ورسلها . . ومن ثَمَّ فإن الدعوة إلى الإسلام والتبشير به بين الوثنيين واللادينيين لا يمثل كفرًا أو ازدراء لأى من الديانات السماوية ، بل على العكس ، فإن فيه التبشير بكل نبوات السماء ورسالاتها وشرائعها وكتبها ومنظومات قيمها وأخلاقها . .

ب - وفى حال ما إذا كان المدعوّ إلى الإسلام يهوديًا ، فإن دعوته إلى الإسلام لا تمثّل ازدراء لليهودية ولا للنصرانية ، ولا كفرًا بهما . . وإنما هى - على العكس - تتضمن بقاء الإيمان والاحترام لليهودية . . وإضافة الإيمان والاحترام للنصرانية والإسلام . .

فانتقال اليهودى ـ ونقله ـ إلى الإسلام ، يضيف لإيمانه باليهودية ، ولا ينتقص من يهوديته ، ولا يمثّل أى ازدراء لكتابها ولا لشريعتها ولا لأنبيائها . . وليس كذلك الحال فى التبشير باليهودية ـ إذا حدث ـ لأن الانتقال من المسيحية أو الإسلام إلى اليهودية فيه كُفْرٌ بهما وازدراء لهما .. الأمر الذى لا يسوى بين دعوة اليهودى للإسلام وبين دعوة النصرانى أو المسلم إلى اليهودية ، من حيث الإيمان والاحترام لمجمل الديانات السماوية الثلاث .

ج ـ **وكذلك الحال إذا كان المدعوّ إلى الإسلام نصرانيًّا ، فإن** انتقاله من النصرانية إلى الإسلام فيه الحفاظ على إيمانه باليهودية وبالنصرانية ، مع إضافة الإيمان بالإسلام ـ كتابه وشريعته ورسوله ـ إلى ما لديه من إيمان . . فليس فى هذه الدعوة للنصرانى إلى الإسلام أى كفر بمجمل ما لديه ، ولا أى ازدراء لوصايا إنجيله ومنظومة القيم والأخلاق الحاكمة لإيمانه الدينى . .

إنها دعوة له كى يصعد درجة على « سلَّم » النبوّات والرسالات والكتب والشرائع التى توالى نزولها من الله الواحد إلى الإنسان . . إنها دعوة إلى إضافة قداسة مكة وحرمتها إلى قداسة القدس وحرمتها . . وليست انتقاصًا من قداسة مقدسات الآخرين . .

بينما دعوة النصرانىُّ المسلمَ إلى النصرانية فيها دعوةٌ إلى الكُفْر بدين سماوى ، والجحود بكتاب سماوى ، والازدراء لرسول الإسلام وشريعته الخاتمة :

وعن هذا الفارق الجوهرى بين دعوتنا الآخرين إلى الإسلام ، وبين دعوتهم لنا إلى شرائعهم تحدَّث الصحابى حاطب بن أبى بلتعة [٥٣ ق هـ - ٣٠ هـ / ٥٨٦ - ٦٥٠م] فى حواره مع المقوقس ـ عظيم القبط ـ سنة ٧هـ سنة ٦٢٨م عندما حمل إليه رسالة رسولنا ﷺ . .

فلقد جاء فى هذا الحوار ما يؤكد هذه الحقيقة . . حقيقة أن الدعوة إلى الإسلام هى دعوة إلى « إضافة » وليست دعوة إلى « انتقاص » أو « كُفْر » أو « جحود » أو « ازدراء » كما هو الحال فى دعوات الآخرين وتبشيرهم . . الأمر الذى يعطى الشرعية والمشروعية والمنطق والعدل للدعوة للإسلام على وجه الخصوص والتحديد .

لقد بدأ المقوقس بسؤال حاطب :

ما الذى يمنع صاحبك ـ [أى الرسول] ـ إن كان نبيًّا ـ أن يدعو علىّ ، فيُسَلِّط علىّ ؟!

فأجاب حاطب :

منعه الذى مَنَعَ عيسى ابن مريم أن يدعو على مَنْ أَبَى عليه أن يُفْعَل به ويُفعَل! ـ [فوجم المقوقس ساعة ـ [أى فترة] ـ ثم استعاد إجابة حاطب . . فأعادها عليه حاطب . . فسكت المقوقس] .

وهنا استأنف حاطب الحوار ، فقال للمقوقس :

إن لك دينًا ـ [أى النصرانية] لن تدعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافى به الله فَقْدَ ما سواه . وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به»[1] .

وهكذا . . ومنذ اللحظات الأولى لخروج الدعوة إلى الإسلام من شبه الجزيرة العربية . . كانت الدعوة إلى الإسلام بمثابة «الإضافة» لا «الانتقاص» مما لدى الآخرين . . وبمثابة المزيد من الاحترام لمجمل ما عندهم ، لا الازدراء لأى من الثوابت التى اجتمعت عليها طوائفهم ومذاهبهم . وبمثابة إضفاء القدسية على جميع الرموز الدينية ، التى لم يتمّ تقديس جميعها إلا فى إطار الإسلام .

---

(١) ابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص٤٦ . طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م .

إن اليهودىّ كافر بالنصرانية والإسلام ، وجاحد لهما ، ومزدرى لرموزهما وعقائدهما . فإذا دخل اليهودى النصرانية أضاف الإيمان بها والاحترام لها إلى ما كان لديه . . وظلَّ على كُفْره وجحوده وازدرائه للإسلام . . فإذا ما دخل النصرانى إلى الإسلام فإنه يضيف إلى إيمانه واحترامه لليهودية والنصرانية الإيمانَ والاحترام للإسلام ، ولكل مواريث النبوّات والرسالات والشرائع والكتب التى مثّلت هدى السماء إلى الإنسان ، على مرٍّ تاريخ النبوّات والرسالات .

إن اليهودى هو أشبه ما يكون ـ إزاء الديانات السماوية ـ بالحاصل على « شهادة الإعدادية » . فإذا دخل النصرانية كان كمن أضاف « شهادة الثانوية » إلى « الإعدادية » فإذا دخل النصرانىّ إلى الإسلام كان كمن أضاف « الشهادة الجامعية » إلى « الإعدادية » و« الثانوية » .

ومن هنا كان الفارق الجوهرى بين التبشير بالإسلام وبين التبشير بغيره من الأديان . . فارق الإضافة للإيمان والاحترام للرموز الدينية . . بدلاً من الانتقاص والازدراء .

إن الفيلسوف الفرنسى « روجيه جارودى » عندما اعتنق الإسلام قد أضاف إلى إيمانه بموسى وعيسى الإيمان بمحمد .. وأضاف إلى إيمانه بالتوراة والإنجيل الإيمانَ بالقرآن . .

وأصبح داعية إلى ملة إبراهيم ، الذى هو الأب لجميع هؤلاء الأنبياء» . بينما سلمان رشدى ـ الذى ارتدّ عن الإسلام ـ قد نكص عن الإيمان بالإسلام وكتابه وشريعته ورسوله . . وأحل ازدراءه لهذا الدين السماوى محلّ الاحترام الذى كان قائمًا قبل الارتداد . .

ذلك أن التصديق بالوحى القرآنى هو تصديق بمطلق الوحى الإلهى لجميع الأنبياء والمرسلين على امتداد تاريخ النبوات والرسالات : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٦٣-١٦٥) .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾

(البقرة:٢٨٥).

ولهذه الحقائق ـ الموضوعية والمنطقية والعقلية ـ كان الحقّ والعدل والإنصاف فى مَنْع الدول الإسلامية التنصير

الرسمى فى مجتمعاتها . . لأنه ليس حجرًا على الحرية المشروعة ، وإنما هو حماية لمقوّم أساسى من مقومات الدولة والمجتمع . . وحرص على عدم الانتقاص من مجمل الإيمان بكامل الشرائع الدينية . . ومنع لازدراء أى من الديانات السماوية . . فبالإسلام يكتمل الإيمان بالدين الإلهى الواحد ، والاحتضان للشرائع السماوية المتعددة ، والاعتراف بكل الكتب السماوية . . من صحف إبراهيم وموسى . . إلى إنجيل المسيح عليه السلام . . إلى القرآن الكريم الذى نزل على الرسول الخاتم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مصدقًا لما بين يديه من كتاب ـ مطلق كتاب ـ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ (المائدة:٤٨).

علماء الغرب يشهدون بتميز دعوة الإسلام

ولأن هذه هى حقيقة الدعوة إلى الإسلام ـ إضافة إيمانية ـ وليست ـ كالتبشير بالديانات الأخرى ـ انتقاصًا وكفرًا وازدراءً ـ . . كانت الأبواب التى تفتحت أمام الدعوة الإسلامية ـ تاريخيًا وحتى الآن ـ دون إكراه . . أو عنف . . أو حتى « مؤسسة » للدعوة والتبشير بهذا الإسلام .

ولقد شهد على هذه الحقيقة عدد كبير من علماء الغرب ـ الخبراء فى جميع الديانات وتاريخ هذه الديانات ـ شهدوا على تَمَيُّزِ الإسلام وتَمَيُّزِ الدعوة إليه . . تَمَيُّزه بالعقلانية . . وتَمَيُّز الدعوة إليه بالسلم والموعظة الحسنة » .

● فقال « جورج سيل » G . Sale (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) الذى ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية : « **لقد صادفت شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له فى العالم . . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحدِّ السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا . .** »[(١)].

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٨٥ ، ترجمة : دكتور حسن إبراهيم ، دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى . طبعة القاهرة ١٩٧٠م .

● وقال سير توماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] وهو العلاَّمة الحجة فى الاستشراق وفى دراسة السبل التى انتشر بها الإسلام - وصاحب الكتاب العمدة فى هذا الميدان - :

« لقد قيل إن « جستنيان » [٤٨٣ - ٥٦٥م] الإمبراطور الرومانى - أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية ، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم يَنْعَمُوا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان . . وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين . بل لقد تحوَّل كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتمَّ الفتح ، حين كانت الإسكندرية - حاضرة مصر وقتئذ - لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نَهْجِ إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة »[1] .

« . . ونستطيع أن نستخلص بحق أن القبائل العربية المسيحية التى اعتنقت الإسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣، ١٢٤ .

وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح .

ولا شك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة ، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية ، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلاً من الجزية الصدقات الشرعية ، وهى الزكاة التى كانت تفرض سنويًا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية .

ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة - [الجزية] - على المسيحيين - كما يريدنا بعض الباحثين على الظن - لونًا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة - وهم غير المسلمين من رعايا الدولة - الذين كانت ديانتهم تَحُول بينهم وبين الخدمة فى الجيش ، فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم سيوف المسلمين .

ومن الواضح أن أى جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت فى خدمة الجيش الإسلامى ، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة - وهى قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية - سالمت المسلمين ،

وتعهدت أن تكون عونًا لهم ، وأن تقاتل معهم فى مغازيهم ، على شريطة ألا تؤخذ منها الجزية ، وأن تُعطى نصيبها من الغنائم .

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس فى سنة ٢٢هـ أُبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التى تقيم على حدود هذه البلاد ، وأُعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية .

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية ، فى حالة المسيحيين الذين عملوا فى الجيش أو الأسطول فى ظلٍّ الحكم التركى ، مثال ذلك ما عُومل به أهل « ميغاريا » Migaris ـ وهم جماعة من مسيحى ألبانيا الذين أُعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على جبال Cerones Cithaeron التى كانت تؤدى إلى خليج كورنتة .

وكان المسيحيون الذين استُخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركى لإصلاح الطرق وإقامة الجسور ، قد أُعفوا من أداء الخراج ، ومُنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب ، وكذلك لم يدفع أهالى Hydre المسيحيون ضرائب مباشرة للسلطان ، وإنما قدموا فى مقابلها فرقة من مائتين وخمسين

من أشد رجال الأسطول التركى كان ينفق عليهم من بيت المال فى تلك الناحية .

وقد أُعفى أيضًا من الضريبة أهالى رومانيا الجنوبية ، الذين يُطلق عليهم Armaloli وكانوا يؤلفون عنصرًا هامًّا من عناصر القوة فى الجيش التركى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ثم المرديون Mirdites ـ وهم قبيلة كاثوليكية ألبانية كانت تحتل الجبال الواقعة شمالى أسكدار Scatari وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة فى زمن الحرب .

وبتلك الروح ذاتها لم تقرر جزية الرءوس على نصارى الإغريق الذين أشرفوا على القناطر التى أمدت القسطنطينية بماء الشرب ، ولا على الذين كانوا فى حراسة مستودعات البارود فى تلك المدينة نظرًا لما قدموا للدولة من خدمات .

ومن جهة أخرى أُعفى الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام ، وفُرضت عليهم الجزية فى نظير ذلك ، كما فرضت على المسيحيين» .

« إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق . . إن نظرية العقيدة

الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى .

ولقد ظلَّ غيرُ المسلمين ، على وجه الإجمال ، يَنْعَمُون فى ظلِّ الحكم الإسلامى بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً فى أوربا حتى عصور حديثة جدًّا .

وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرَّم طبقًا لتعاليم القرآن ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٩٩) .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس:١٠٠) .

وإن مجرد وجود كثير جدًّا من الفرق والجماعات المسيحية فى الأقطار التى ظلَّت قرونًا فى ظلِّ الحكم الإسلامى ، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذى نَعِمَ به هؤلاء المسيحيون ، كما يدلُّ على أن الاضطهادات التى كانوا يدعون إلى معاناتها بأيدى الطغاة والمتعصبين ، إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وإقليمية ، أكثر من أن تكون منبعثة من مبدأ مقرَّر من التعصب».

«لقد كان من السهل على أى حاكم من حكام الإسلام الأقوياء أن يستأصل شَأْفة رعاياه المسيحيين أو ينفيهم من

بلادهم ، كما فَعَلَ الإسبان بالعرب ، والإنجليز باليهود مدة أربعة قرون تقريبًا . وكان من الممكن تمامًا أن ينفذ سليم الأول [٨٧٥ - ٩٢٦هـ ١٤٨٠ - ١٥٢٠م] في سنة ١٥١٤م - أو إبراهيم [١٠٤٩ - ١٠٥٨هـ ١٦٤٠ - ١٦٤٨م] في سنة ١٦٤٦م تلك الفكرة البربرية التي تصورها للقضاء على رعاياه المسيحيين . لكن طبقة المفتي الذين صرفوا أذهان سادتهم عن مثل هذا الغرض الذي ينطوي على القسوة ، إنما فعلوا ذلك باعتبارهم أئمة الشريعة الإسلامية والتسامح الإسلامي .

إن المبدأ الذي وجد قبولاً عظيمًا في ألمانيا في القرن السابع عشر ، وهو أن لكل منطقة دينها الخاص ، لم يقبله قط أي عاهل مسلم»[١].

* * *

(١) المصدر السابق . صـ ٧٩ وما بعدها . وانظر كتابنا : [الإسلام في عيون غربية] صـ ١٣٣-١٤٠ طبعة دار الشروق ـ القاهرة سنة ٢٠٠٥ م .

شهادات الغرب بسماحة المسلمين الفاتحين

● «وقد استطاع ميخائيل الأكبر Michael the Elder [١١٢٦ - ١١٩٩م] بطريق أنطاكية اليعقوبى - أن يؤكد فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر - ما قرره إخوانه فى الدين ، وأن يرى أصبع الله فى الفتوح العربية ، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون .

● وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م] : « . . وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ، ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لجئوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة ، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .

ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها . . ولم يكن كسبًا هينًا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام» .

• « ونجد أركلدوس دى مونت كروسيس Ricoldus de monte وهو مبشر دومينقانى ، زار الشرق فى نهاية القرن الثالث عشر ـ ينطلق بالثناء على المسلمين ، الذين كان قد اشتغل بين أظهرهم ، فيقول :

« لقد استولى علينا الدهش ، كيف أن أعمالاً تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا فى ظل شريعة غير مسيحية! . . ومن الذى لا يعجب إذا تأمل جيداً أية عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب ، وأى إخلاص فى الصلاة ، وأية رحمة بالفقير ، وأى تبجيل لاسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة ، وأى وقار فى أخلاقهم وفى معاملتهم للغرباء ، وأية مودة تربط بين جنسهم؟؟ . . » .

« ..وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من المسيحيين العرب ..

فالظاهر أنهم قد انتهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامى الذى كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه (الاندماج السلمى) الذى تمَّ بطريقة لم يحسها أحد منهم ، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم فى الإسلام بالقوة عندما انضووا بادئ الأمر تحت لواء الحكم الإسلامى ما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين .

. . وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية فى إفريقية الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أى زعم بأن تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه»[1].

- كذلك شهد الأمير والمستشرق الإيطالى «ليون كايتانى» Caetani [١٨٦٩ - ١٩٢٦م] وهو صاحب الدراسات الشهيرة والكبيرة فى تاريخ الشرق والإسلام . . وصاحب التحقيقات لعدد من أمهات كتب التاريخ الإسلامى - شهد للانتشار السلمى للإسلام ، فقال :

«لم يضطهد العرب أحدًا فى السنوات الأولى من أجل الدين ، كما أنهم لم يعملوا على ضمِّ أحد إلى دينهم ، ومن ثَمَّ تمتع المسيحيون الساميون ، فى ظلِّ الإسلام بعد الفتوحات الأولى ، بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة».

« . . وما أُثر عن عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤م] من أنه أمر أن يُعطَى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت[2] . . وهو لا ينسى الذميين حتى فى أُخرى وصاياه ؛ إذ عهد فيها إلى

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] . ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ - ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧.

(٢) البلاذرى ص ١٢٩ .

من يخلفه بما ينبغى القيام به فى هذا المنصب السامى ، فقال : « أوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم ، وألا يكلفوا إلا طاقتهم » .

« . . وهناك شواهد كثيرة تبين أن المسيحيين قلما كانوا فى عهد الفتوح الإسلامية الأولى يشكون مما يضعف من قوة دينهم »[1] .

* * *

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ، ص ٧٠ .

شهادات الغرب بالانتشار السلمى للإسلام

نعم . . شهد هؤلاء العلماء الأفذاذ ـ الذين يمثلون قِمَمًا فى الثقافة الأوربية ـ على الانتشار السلمى للإسلام . . كما شهدوا على مكانة العقل والعقلانية الإسلامية فى هذا الانتشار السلمى .

● فقال العلاَّمة « كايتانى » [١٨٦٩ - ١٩٢٦ م] :

« . . إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى . أما الشرق ، الذى عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة ، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية ، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة ، مليئة بالشكوك والشبهات ، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس ، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها .

فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء ، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف ، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية ، وتزعزعت قواعدها الأساسية ، واستولى على رجالها اليأس

والقنوط من مثل هـذه الريَـب ، لم تعـد المسـيحية بعـد ذلـك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديـد الـذى بَـدَّدَ بضـربة من ضرباته كلَّ الشكوك التافهة ، وقدم مزايا مادية جليلـة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجـدل . وحينئـذ تَرَكَ الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب . . » .

● كذلك شـهد الفيلسـوف الأمريكـى « جـون تـايلور » Gunon Tuylor [١٧٥٣ - ١٨٢٤م] على دور هذه العقلانية التى تفرد بها الإسلام فى الانتشار السلمى لهذا الدين ، فقال :

« إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة فى أفريقيا وآسيا . لقد كان أئمة اللاهوت فى إفريقية والشام قد استبدلوا عقائد ميتافيزيقية عويصة بديانـة المسـيح ، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا مـا سـاد هـذا العصـر مـن فسـاد بتوضيح فضل العزوبة فى السماء ، وسمو البكورية إلى مرتبـة الملائكـة ، فكـان اعتـزال العـالم هـو الطريـق إلى القداسـة ، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة ، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسـين والملائكـة ، كمـا كانـت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفسـاد ، والطبقـات الوسـطى مرهقة بالضرائب ، ولـم يكـن للعبيـد أمـل فـى حاضرهـم ولا مستقبلهم . فأزال الإسلام ، بعون من الله ، هذه المجموعـة

من الفساد والخرافات . لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى . ولقد بَيَّنَ أصولَ الدين التى تقول بوحدانية الله وعظمته ، كما بَيَّنَ أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه . وأعلن أن المرء مسئول ، وأن هناك حياة أخرى ويومًا للحساب ، وأعدَّ للأشرار عقابًا أليمًا ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفِعْلَ الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الدينى والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين فى الدين ، وأحلَّ الشجاعة محلّ الرهبنة ، ومنح العبيد رجاء ، والإنسانية إخاء ، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية . . »[1] .

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] . ص ٨٩ - ٩٢ .

شهادات الغرب على امتياز الإسلام بساطة الفطرة وعقلانيتها

● كذلك شهد على هذه العقلانية الإسلامية ـ عقلانية الفطرة ـ التى تَمَيَّزَ بها الإسلام وامتاز . . والتى لعبت دورًا كبيرًا فى انتشاره السلمى . . المستشرق الفرنسى البروفسور «مونتيه» [١٨٥٦ - ١٩٢٧م] ـ الذى ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية ، وكتب مؤلّفه المرموق عن [حاضر الإسلام ومستقبله] فقال : «**إن الإسلام فى جوهره دين عقلى ، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المتحدة من العقل والمنطق ، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . . وإن لدين محمد كل العلامات التى تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .**

إن عقيدة الإسلام فى الوحدانية وفى النبوة والرسالة إنما تستقرّ فى نفس المتدين به على أساس ثابت من العقل والمنطق ، وهى تلخص كل تعاليم العقيدة التى جاء بها القرآن ، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعَّالة فى الدين وفى نشاط الدعوة

إلى الإسلام . لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل ، باعتباره النقطة الأساسية التى بدأت منها تعاليم هذه العقيدة ، وقد جهر القرآن دائمًا بمبدأ الوحدانية فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا .

وإن هذا الإخلاص لمبدأ الدين الأساسى ، والبساطة الجوهرية فى الصورة التى يصاغ بها هذا الدين ، والدليل الذى كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشرها اقتناعًا يلتهب حَمَاسةً وغَيرةً ، إن هذا كله يُكَوِّنُ الأسباب الكثيرة التى تُفَسِّرُ لنا نجاحَ جهود دعاة المسلمين .

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد ، خالية كل الخلوّ من جميع التعقيدات الفلسفية ، ثم هى تبعًا لذلك فى متناول إدراك الشخص العادى ، أن تمتلك ، وإنها لتمتلك فعلاً ، قوة عجيبة ، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس . .».

* * *

● أما اللاهوتى الكاثوليكى ، والمستشرق الإيطالى « الآب مراتشى» Marracci [١٦١٢ - ١٧٠٠م] - وهو الذى نشر القرآن متنًا وترجمة بالإيطالية . . وألَّفَ كتاب [دراسة عن الإسلام] . . وأسهم - كذلك - فى ترجمة العهدين القديم والجديد - فهو يشهد

شهادة الخبير على امتياز الإسلام ببساطة الفطرة وعقلانيتها . . فيقول :

«لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التى فاقت طاقة الذكاء البشرى ، أو التى هى - على الأقل - من الصعوبة بمكان ، إن لم تكن مستحيلة - [العقيدة المسيحية] - وبين عقيدة القرآن ، لانصرف عن الأولى فى الحال ، وأسرع إلى الثانية فى ترحيب وقبول .

يقول القرآن : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) ، وهى نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة تبعث على الدهش فى المجتمع الإسلامى ، وقلما تعجز عن أن تتجلى فى أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد ، ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه فإنه يُقبل فى زمرة المؤمنين ، ويتبوأ مكانة على قدم المساواة مع أقرانه المسلمين .

لقد روعى فى تأليف هيئة الكنيسة ، منذ بدء تاريخها لنشر التعاليم المسيحية ، أن يكون مُبَشِّروها - فى أغلب الأحيان - قساوسة ورهبانًا ، يعيّنون لهذا الغرض بانتظام .

أما فى الإسلام ، فإن عدم وجود أى لون من ألوان الكهنوت أو أية هيئة دينية منظمة أيًّا كانت ، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى فى صور مختلفة تمام الاختلاف

عن تلك التى تظهر فى تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية ، فليس هناك ـ فى الإسلام ـ جمعيات للدعوة ، ولا موكلون مدربون لهذا الغرض ، كما أنه قلما تجد مواصلة الجهود فى هذا السبيل .

ولم يكن النشاط الروحى للإسلام ـ كما زعم عدد كبير جدًا من الناس ـ متمشيًا مع سلطانه السياسى ، بل على العكس من ذلك ، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادى ، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية التى تعدّ أصدق البواعث التى تحفز على القيام بأعمال الدعوة . . »[1] .

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] . ص ٢٧ ، ٢٨-٣٠ ، ٤٥ ، ٦٢، ٤٤٩ ، ٤٥٤ - ٤٥٧ ، ٤٦٩ .

لماذا انتشر الإسلام ـ دين الجهاد ـ سلما . . بينما النصرانية ـ دين التصوّف المسالم ـ انتشرت بالسيف والقهر والإكراه؟

هكذا شهد الكثيرون من أعلام علماء الغرب ومستشرقيه ـ الذين جمعوا بين الدراسة للإسلام وحضارته والدعوة إليه وبين الدراسة للديانات الأخرى وحضاراتها والدعوة إليها ـ على تميز الإسلام وامتيازه بعقلانية الفطرة . . وبساطة العقيدة . . ومناسبتها لعامة الناس وجماهيرهم . . ومن ثَمَّ امتلاكه ميزة الانتشار السلمى السريع والمدهش ، مع خلوّ تاريخه وتاريخ الدعوة إليه من المؤسسات التبشيرية التى تدعو إليه . . ومن النفوذ السياسى للنظم والحكومات التى حكمت بلاد الإسلام . .

وهكذا تميزت الدعوة إلى الإسلام عن التنصير . وبشهادة هؤلاء العلماء الأعلام من النصارى الغربيين . . بل لقد رصد هؤلاء العلماء الغربيون ـ وفى مقدمتهم العلامة سيرتوماس أرنولد ـ تلك المفارقة التى جعلت الإسلام ـ دين الجهاد ـ ينتشر سلمًا . . وجعلت النصرانية ـ دين التصوّف المسالم ـ تنتشر فى الغرب ، بالسيف والقهر والإكراه !! .

● نعم . . رصد العلامة توماس أرنولد هذه الظاهرة . . وسرد وقائع التاريخ الشاهدة عليها . . هذه الوقائع التى تقول :

● « **لقد فرض** « **شارلمان** » [٧٤٢-٨١٤م] - ملك الفرنجة - التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحدّ السيف » .

● « **وفى الدانمرك** استأصل الملك « كنوت » Cnut [٩٩٥ - ١٠٣٥] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب » .

● « **وجماعة إخوان السيف** Bretheren of the sword وغيرهم من الصليبيين ، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار فى تنصير البروسيين الوثنيين » .

● « **ولقد فرض فرسان** Ordo Fratrum Fratrum Miliuechrist المسيحية على شعب ليفونيا فرضًا » .

● « **وفى سنة ١٦٩٩م وجه** « **فالنتين** » Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyan مرسومًا يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعى الكنيسة . . وربما حلَّ الاضطهاد والتنصير الإجبارى محلّ الدعوة الهادئة إلى « كلمة الله » .

● « **وفى فيكن** Viken (القسم الجنوبى من النرويج) كان الملك « أولاف ترايجفيسون » Olaftrygvesson [٩٦٣ - ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية أو بتقطيع

أيديهم وأرجلهم أو بنفيهم وتشريدهم ، وبهذه الوسائل نشر الـدين في « فيكن » بأسرها . . » .

● « **ووصـية القـديس لـويس** (١٢١٤ - ١٢٧٠م) تقـول : « عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قـد أسيئ إلى سمعتها ، فإنه ينبغى ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه ، الـذى يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء » .

● « **ولقد ظل الإسلام قائمًا بين « الباشـغردية »** ـ مـن أهـل المجر ـ حتى سنة ١٣٤٠م ، حين أرغم الملك « شـارل روبـرت » جميع رعاياه الذين لم يكونوا مسـيحيين بعـدُ ، أن يعتنقـوا الـدين المسيحى أو يغادروا البلاد » .

● « **وفـى سـنة ١٧٠٣م جمـع « دانيـال بيتروفـتش »** D.petrovich ـ الأسقف الحاكم فى ذلك الحين ـ القبائل وأخـبرهم أن الأمل الوحيد لإنقاذ بلادهم ودينهم ينحصـر فـى القضـاء علـى المسلمين الذين يعيشون بين ظهـرانيهم . وكـان مـن أثـر ذلـك أن الـذين لم ينقضـوا عهـد الإسـلام وأبـوا أن يـدخلوا المسـيحية مـن مسلمى الجبل الأسود قتلوا فى ليلة عيد الميلاد ، فى ثبات ورباطة جأش ! » .

● « **وفى روسيا** سنة ٩٨٨م ، جهر « فلاديمير Vladimir ـ ملك روسيا فى ذلك الحين ـ بالمسيحية » وفـى اليـوم التـالى لتعميـده ،

أصدر مرسومًا يقضى بأن يذعن الروس كافة ، سادة وعبيدًا ، أغنياء وفقراء للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية . وهكذا أصبحت المسيحية ديانة الروس . ولم يفتح الباب أمام التدين بالإسلام ـ فى روسيا ـ إلا بعد أن صدر مرسوم سنة ١٩٠٥م الذى ينص على التسامح الدينى . .

أما قبل ذلك التاريخ ، فلقد حاولت الحكومة الروسية فرض المسيحية على رعاياها المسلمين فى أوربا ـ بما فى ذلك التتار ـ وكان القانون الجنائى الروسى يتضمن دائمًا عقوبات صارمة لهؤلاء الذين حادوا عن الكنيسة الأرثوذكسية ويعاقب كل شخص تثبت عليه تهمة تحويل مسيحى إلى الإسلام بتجريده من كافة الحقوق المدنية ، وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثمانى سنين وعشر . .

ولقد دونت الأخبار كثيرًا عن دخول الناس أفواجًا بعد صدور مرسوم الحرية الدينية سنة ١٩٠٥م . . ولقد كان أكبر الفضل فى ذلك النجاح للدعوة الإسلامية راجعًا إلى مستوى الحياة الأخلاقية فى المجتمع الإسلامى ، الذى كان أكثر رُقِيًّا ، كما يرجع أيضًا إلى شعور التآخى الذى كان يشيع فى هذا المجتمع ، والذى كان أكثر تماسكًا وقوة . . وكان هؤلاء الذين أسلموا يلقون فى قراهم عنتًا واضطهادًا بتسميتهم « الكلاب المختونين »! . ولقد أخذ

الخوف من رجال الكنيسة الأرثوذكسية كل مأخذ ، حتى أقاموا جمعية خاصة تقوم بتوزيع منشورات دينية بين أهالى القوقاز والأبخازى Abkazes أملاً فى مناهضة النفوذ الإسلامى » .

● « **وفى الحبشة** ، اتخذ الملك « سيف أرعد » [١٣٤٢ - ١٣٧٠م] ـ حاكم أمهرة ـ تدابير صارمة ضد المسلمين فى مملكته ، تقضى بإعدام كل من أَبَى الدخول فى المسيحية أو نفيهم من البلاد . وقد قيل إن الملك « بثيدماريام » [١٤٦٨ - ١٤٧٨م] قضى الجزء الأكبر من حكمه فى محاربة المسلمين الذين كانوا يقيمون على الحدود الغربية من مملكته . .

وقد كان على مسلمى « هدية » أن يدفعوا جزية أخرى للملك ، وهى أن يعطوه فى كل سنة بنتًا ينصرها له ، وجرت هذه العادة فى بلدهم بمقتضى معاهدة كان ملك الحبشة يحكم دائمًا بها . . ثم إنه حكم عليهم ألا يلبسوا عدة الحرب ولا يمسكوا السيف ، ولا يركبون خيولهم بالسروج وإلا قتلهم وخَرَّب مساجدهم . . ولقد كانوا مجبرين على تقديم الأموال إلى رسل الملك ، ومعها البنت التى يخرجونها على السرير ، بعد تغسيلها وتكفينها بثوب ، والصلاة عليها ، بحسبانها قد ماتت ! . . » .

● « **وقبائل الجلا والصومال** ، أُدخلوا كرهًا فى الديانة المسيحية . . أرغمهم ملك الحبشة على انتحال المسيحية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر . . ».

● «وفى سنة ١٨٧٨م ـ بعد حرب سنة ١٨٧٥م بين الحبشة ومصر ـ **عقد الملك الحبشى «جون»** مجمعًا يضمّ رجال الكنيسة الحبشية ، ونادوا به حكمًا أعلى فى المسائل الدينية ، فقرر وجوب الاقتصار على دين واحد فى كافة أنحاء المملكة ، وأُعطى المسيحيون على اختلاف طوائفهم ، ما عدا اليعاقبة ، مهلة عامين ليصبحوا فيها متفقين فى الرأى مع كنيسة البلاد ، وألزم المسلمون بالتسليم فى خلال ثلاث سنين ، والوثنيون فى خلال خمس . وأذاع الملك مرسومًا بعد ذلك بأيام قليلة ، أوضح فيه أن مهلة السنوات الثلاث التى مُنحها المسلمون كانت قليلة الأهمية ، وذلك أنه لم يقتصر ـ فى المرسوم الجديد ـ على إلزامهم ببناء كنائس مسيحية متى كانوا فى حاجة إليها ، ودفع العشور للقساوسة الذين فى مقاطعاتهم الخاصة ، بل إنه أنذر كل الموظفين المسلمين بأن يختاروا فى خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد أو التخلى عن مناصبهم . . ولقد تظاهر المسلمون بالقبول والخضوع ، لكنهم كانوا ـ فى الخفاء ـ يؤكّدون ولاءهم للإسلام! .

وفى هذه الحملة أرغم الملك «جون» سنة ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفاً من المسلمين على التعميد . . كما أجبر عشرين

ألفاً من أفراد إحدى القبائل الوثنية . . ونصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية! . . »[1].

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام]. ص ٣٠ - ٣٢ ، ١٢٢، ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٤١ - ١٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٧٤ - ٢٧٦ ، ٢٧٨ - ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٨٤، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

وانظر فى ذلك أيضًا : كتابنا [الإسلام فى عيون غربية . . بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء] طبعة دار الشروق ـ القاهرة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م .

وشهد شاهد من أهلها

تلك هى شهادة حقائق التاريخ ، والوقائع التى تجسدت فى الممارسات والتطبيقات . . والتى تعلن أن التمايز والاختلاف قد كان واضحًا وحاسمًا بين طريق الدعوة الإسلامية وطريق التنصير .

ولقد تعمدنا أن تكون هذه الشهادات من أعدل الشهود بين علماء الاستشراق . . ومن أوثق المصادر الغربية التى رصدت انتشار الإسلام ، وقارنت بين سبل انتشاره وسبل انتشار ونشر النصرانية فى العالم الغربى . .

إن الشاهد فى قضيتنا هذه هو العالم الإنجليزى « سير . توماس أرنولد » [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] Sir thomas . Arnold . . الذى قال عنه العالم الإنجليزى الحجة البروفسور « الفريد جيّوم » Alfred Cuittaume رئيس دائرة الشرق الأدنى والأوسط لمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية لجامعة لندن ـ : « إنه من أعاظم المستشرقين البريطانيين . تعلم فى كمبردج ، وقضى عدة سنوات ـ ١٨٨٨ - ١٨٩٨م ـ فى الهند أستاذًا للفلسفة فى كلية عليكرة الإسلامية ، وأستاذًا للفلسفة فى لاهور ـ ٩٩٨ - ١٩٠٤م ـ ومساعدًا لأمين مكتبة ديوان الهند ـ ١٩٠٤ - ١٩٠٩م . وهو أول

من جلس على منبر الأستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة ١٩٠٤م ، ثم اختير عميدًا لها . وقد ذاع صيته بكتابه [الدعوة إلى الإسلام] ــ لندن سنة ١٨٩٦م . و[الخلافة] ـ أكسفورد سنة ١٩٢٤م ـ كما كتب دراسته الإجمالية عن الإسلام بعنوان [العقيدة الإسلامية] . وكتابه الفخم عن [التصوير فى الإسلام]، وهو صاحب فكرة كتاب [تراث الإسلام] ، والمشرف على تنسيقه وإخراجه . ولقد كان مُلِمًّا باللغتين العربية والفارسية ، إلى جانب إلمامه بمعظم اللغات الأوربية ، مالكًا لمفاتيح عالم العصور الوسطى وعالم العصر الحديث . ولقد خلت كتاباته من أية أغلاط ، أو حتى هفوات لاحظها عليها المتخصصون من الغربيين أو المسلمين».

هذا عن «الشاهد» . . أما مصدر هذه الشهادة ، فهو الكتاب العمدة الذى كتبه «أرنولد» عن [الدعوة إلى الإسلام] ، والذى تفرد فى هذا الباب تفردًا مطلقًا . حتى قال عنه المستشرق الإنجليزى «ر . ا . نيكلسون» [١٨٦٨ - ١٩٤٥] A . Nicholson : «إنه كتاب يفوق حدَّ الوصف من ناحية . . وهو مؤلّف لا يمكن الاستغناء عنه ، ويعد حجة ثابتة . . وهو من أوله إلى آخره ، برغم طابعه التاريخى ومنهجه العلمى ، إنما هو حجة أرنولد أقامها على الجور والتعصب . وإن آراءه فى الجملة خليقة بأن تؤثر حتى فى

هؤلاء الذين قد يظنون أن هذا الكتاب مصدر خطر ، عندما يقدرون بواعث الحماسة فى نَشْرِ الدعوة الإسلامية ونتائجها ، تاركين بصفة قاطعة مظهراً من نشاط هذه الدعوة لم يحسبوا لها حسابًا ، كما فَعَلَ أرنولد . .

إنه ليستولى علينا الدهش كيف استطاع أرنولد أن يجمع وينقد هذا القدر الهائل من المواد المتنوعة التى تتعلق بالكتب والمراجع التى استخدمها فى الطبعة الأولى من كتاب [الدعوة إلى الإسلام] وإن نظرة واحدة فى المراجع التى اعتمد عليها المؤلّف ، تكفى لنتحقق قيمة الكتاب باعتباره مستودعًا وصورة للحقائق التى تتعلَّق بموضوعه . . إنه كتاب زاخر بالحياة . . وبينما نجده ينقلنا على التوالى من بلاد العرب إلى أسيا الغربية وإفريقيا وإسبانيا وفارس والهند والصين والملايو ، فإننا نحسّ من وراء سطحه الهادئ عمق الحجج المقنعة وقوتها ، تلك الحجج التى تبعث فيه الحياة »[1] .

نعم . . تلك مكانة « الشاهد » . .

وهذه هى مكانة « الشهادة » على تَمَيُّزِ الدعوة إلى الإسلام عن التنصير ، إن فى « المنهج » أو « تاريخ الممارسات والتطبيقات ».

---

(١) نيكلسون [تراث الإسلام] ص ١٦٨ . ترجمة : جرجيس فتح الله . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م ومقدمة الطبعة الثالثة لكتاب [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٥ - ١٧ .

وبـذلك . . وبهـذه الدراسـة . . نقـدم الإجابـة ـ الموضـوعية . . والمنطقيـة . . والعقلانيـة . . والواقعيـة ـ عـن هـذا السـؤال ـ الـذى يحسبه الكثيرون « محرجا . . وحساسا » :

- لماذا يمنع المسلمون حرية التنصـير فـى بـلاد الإسـلام ، فى الوقت الذى يدعون فيه إلى دينهم فى البلاد الغربية؟! .

وهى إجابة نرجو أن تُحِقَّ الحق وتزهق الباطـل . . وأن تكـون بمثابة « الكلمة السواء » التى ندعو إليها مختلف الفرقاء .

* * *

العداء الغربى للإسلام والمسلمين

ثُمَّ . . وأخيرًا . .

هل بقى الغرب ـ حكومات ومؤسسات ـ على حياده إزاء الدين وإزاء الدعوة إلى الإسلام؟! .. أم أنه قد اتخذ الإسلام عدوًا .. وأعلن عن ذلك ـ بعد سقوط الشيوعية سنة ١٩٩١م ـ كما كان حاله مع الإسلام إبان الحملات الصليبية الغربية على ديار الإسلام [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م]؟!

إن أحدث التقارير الرسمية ـ نعم الرسمية ـ الغربية ، التى تتحدث عن الموقف الغربى الحالى من الإسلام والدعوة إليه . .

ومن المسلمين ـ حتى أولئك الغربيين الذين يعيشون فى الغرب ، ويحملون جنسيات أوطانه ـ إن أحدث هذه التقارير الرسمية الغربية يعلن « العداء للإسلام والمسلمين »!!

ففى إنجلترا ، تألفت لجنة من كبار المفكرين وأساتذة الجامعات البريطانية ، رأسها البروفيسور « جوردون كونواى » ـ مستشار جامعة ساسكس Sussx ـ . . وكان من بين أعضائها أسقف لندن . . ورئيس تحرير صحيفة « نيوستيسمان » . . وأستاذ القانون بجامعة « سوث هامبتون » . . وممثلة عن هيئة الخدمة

المدنية . . ورئيس «المجلس اليهودى لمنع التفرقة العنصرية» . . وعدد من كبار الأساتذة الجامعيين الإنجليز .

ولقد صدر عن هذه اللجنة ـ التى مثلت خبراء المؤسسات المدنية والفكرية والدينية ـ المسيحية واليهودية ـ التقرير الذى يعلن الموقف الغربى من الإسلام . . والذى جاء فيه :

« . . إن الموقف الشائع فى الثقافة الشعبية والثقافة السياسية فى الغرب : أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب وللثقافة والحضارة الغربية .

وإن الفكرة السائدة : أن الإسلام تهديد رئيسى للسلام فى العالم . . وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية للعالم فى الثلاثينيات والتهديد الشيوعى فى الخمسينيات من القرن العشرين . .

وإن الفكرة السائدة : أن الحرب مع الإسلام حتمية . . وإن المتعصبين الإسلاميين يزداد عددهم ، وإنهم يهدفون إلى تدمير الحضارة الغربية ، وهم سعداء ، لأن هذا هو «الجهاد» الذى يأمرهم به دينهم . .

وتتردد فى الأدبيات الغربية عبارة : «إن قبائل أصحاب العمامات سوف تنتصر» نتيجة لرفض الغربيين للإنجاب ، وتزايد الحاجة إلى المهاجرين ، مما يهدد بأن تحيا الحضارة

الغربية بعد ذلك بدماء غير أوربية ، وينتشر الإسلام فى دول أوربا والولايات المتحدة . وقد بدأ العدّ التنازلى بالسماح بتدريس القرآن فى المدارس .

إن الناس فى الغرب يرفضون ـ لا شعوريًا ـ الانتقادات التى يوجهها المسلمون للمجتمعات الغربية وللقيم الأساسية لهذه الحضارة ، مثل الحرية ، والديمقراطية ، والحداثة ، وفصل الدين عن الدولة وعن السياسة .

إن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصوراً على الصحف الصغيرة ، ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية . وتتكرر فى الغرب عبارات الازدراء للإسلام .

وإنه من السذاجة الادعاء بعدم وجود صراع بين الغرب والإسلام اليوم كما كان فى الماضى أيام الحروب الصليبية ، وأيام الفتوحات الإسلامية فى إسبانيا ، ووصول الجيوش الإسلامية إلى جنوب فرنسا ، وانتشار الإسلام فى ألبانيا ويوجوسلافيا بالغزو . .

وفى الوقت الحالى توجد صراعات المصالح . ويوجد الصراع المتعلق بإسرائيل . وبالسيطرة على البترول . وهذه الصراعات تؤدى حتمًا إلى محاولة كل طرف إخضاع الآخر . وبسببها أيضًا تتراكم المشاعر المعادية للإسلام .

ويزيد الأمر صعوبة وجود الصراع مع الإسلام فى الشيشان وأفغانستان والهند . ووجود توترات وصراعات سياسية داخلية فى الدول الإسلامية ذاتها . وينظر الغربيون إلى هذه الصراعات على أنها صراع بين الحداثة الغربية والجمود الذى يمثله الإسلام ، وحرص المسلمين على صبغ كل أمورهم بالصبغة الدينية . .

إن العداء للإسلام ، فى الثقافة الغربية المعاصرة ، حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها »[1].

* * *

نعم . . هذا أحدث إعلان رسمى عن واقع العداء الغربى للإسلام . . والازدراء الغربى للإسلام . . والحصار الغربى على الإسلام والمسلمين ، حتى فى المجتمعات الغربية التى ظلت قرونًا تدعى حياد حكوماتها ومؤسساتها إزاء الأديان - ومنها دين الإسلام . . والدعوة إليه - . .

والأشد فى الغرابة أن هذا يحدث فى ظل :

- غزو غربى مسلح للعديد من أقطار الإسلام . .
- وانتشار كثيف للقواعد العسكرية الغربية فى الكثير من ديار الإسلام . .

---

(١) صحيفة [الأهرام] - مقال الأستاذ رجب البنا فى ٢٠٠٧/١١/١٨م .

- واحتلال واسع للبحار والمحيطات الإسلامية من قِبَل الأساطيل الحربية الغربية .

- وسيطرة اقتصادية للشركات المتعددة الجنسيات الغربية على المقدرات الاقتصادية لعالم الإسلام .

- وهيمنة ثقافية وإعلامية غربية على فضاءات عالم الإسلام وعقول كثير من النخب المثقفة فيه . . وحصار غربى على أى صوت للإعلام الإسلامى يحاول النفاذ إلى الغرب .

- وتصفية غربية للمؤسسات المالية الإسلامية العاملة فى ميادين الإغاثة والنشاط الخيرى . .

نعم . . فى ظلّ هذا الخلل الفاحش . . يتساءلون :

لماذا يمنع المسلمون حرية التنصير فى بلاد الإسلام ، فى الوقت الذى يدعون فيه إلى دينهم فى البلاد الغربية؟ .

فهل بقيت ـ بعد هذه الدراسة . . وما قدَّمت من فِكْر منطقى . . ووقائع تاريخية . . وحقائق آنية ـ ذرة من المنطقية والعقلانية تستدعى أو تبرر هذا السؤال؟!

وهل من المنطقى التسوية بين موقف الإسلام ودعوته من الديانات الأخرى ـ وهو موقف الإيمان ـ والاحترام . . والتقديس لأصول هذه الديانات ورموزها وكتبها ـ وبين موقف الإنكار والجحود والازدراء الذى يقفه الآخرون من الإسلام . . والذى عَبَّرَ عنه أحدث إعلاناتهم عندما قال :

«إن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصوراً على الصحف الصغيرة ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية . . وتتكرر فى الغرب عبارات الازدراء للإسلام»!.

يحدث هذا فى القرن الواحد والعشرين . . على حين كانت الدعوة الإسلامية ـ منذ خمسة عشر قرنًا . . ولا تزال ـ لا تفرق بين أحد من رسل الله . . وتؤمن بكل الكتب السماوية . . وتعلن فى قرآنها الكريم : ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ﴾ (المائدة:٤٤) ، ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ** ﴾ (المائدة:٤٦) .

فهل يستوى الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون؟! . . والذين يعلمون والذين لا يعلمون؟! والذين يعدلون وينصفون والذين يظلمون ويفترون؟! .

* * *

المصادر والمراجع

ابن عبد الحكم : [فتوح مصر وأخبارها] طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م.

أرنولد : [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة : دكتور حسين إبراهين حسن ، دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

رفاعة رافع الطهطاوى : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.
وطبعة القاهرة ـــ مكتبة الأسرة سنة٢٠١٠م .

مؤتمر كولورادو : [التنصير الأمريكى : خطة لغزو العالم الإسلامى] طبعة مالطا سنة ١٩٩١م . وطبعة مكتبة وهبة ـ القاهرة سنة ٢٠١١م .

دكتور محمد عمارة : [الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة القاهرة ـ نهضة مصر سنة ١٩٩٨م .

: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة دار الشروق ـ القاهرة سنة ٢٠٠٥ م .

: [الغرب والإسلام : تاريخ من الغـزو والتزييـف وغواية الأقليات] طبعـة مكتبـة وهبـة ـ القـاهرة سنة ٢٠١١م .

نيكلسـون : [تـراث الإسـلام] ترجمـة : جـرجيس فـتح الله ـ طبعـة بيروت سنة ١٩٧٢م .

دوريات

الأهرام ـ القاهرة .

المصرى اليوم ـ القاهرة .

الدستور ـ القاهرة .

وطنى ـ القاهرة .

الشرق الأوسط ـ لندن .

البصائر ـ الجزائر .

نيوزويك ـ الطبعة العربية .

واشنطون بوست ـ واشنطون .

المحتوى